

المحاضرة الأولى

في أن سيرة الأنبياء عليهم السلام هي الأسوة الحسنة للبشر

هذا العالم - وإذا سميناه « المتحف الأعظم » لم نعد الحق ، ولم نرتكب الشطط - يحتوي على أنواع من المخلوقات : ففيه ما شئت من جماد بديع الألوان ، غريب الهيئات . وما يقع عليه نظرك من نبات بين اخضر ناضر ، وأصفر فاقع ، وأحمر قان إلى غير ذلك من شتى الألوان . وفيه ما يخطر أو لا يخطر على بالك من حيوان لو حاول أحدنا أن يحصي أنواعه لأعياء ذلك . ومن أنواعه نوع عجيب يفوق سائر الأنواع في هيئته ، ويفضل عليها بعمله ونشاطه ، وهو الإنسان .

هذا إذا نظرنا إلى العالم بعين من لا يتبصر بحكمة ولا يتدبر بعلم . أما الحكيم الذي ينعم النظر في الأشياء ، والعالم الذي يحسن التأمل في ملكوت الله ، فيبدو لهما من الفوارق بين المخلوقات ما يتميز به كل نوع عن غيره ، ويكتشفان في كل شيء الخصوصية التي يمتاز بها ولا توجد في الأشياء الأخرى لأن الباري العظيم لما صور هذه المخلوقات اختص كلا منها بخصائص ، وأودع فيها من القوى ما امتاز به بعضها عن بعض . ومن هنا كانت هذه المخلوقات على غير أطراد في الطبائع والمواهب ، فتراها تتدرج وترتقي - من أدنى إلى أعلى - على مدارج في الشعور والادراك والارادة . وإن أول الجهاد وهو الهبأة - أو الذرة كما يسمونها اليوم - لا تجد فيها أثرا للحياة : من الشعور ، والادراك . ومن الجهاد ما تلمح فيه أمانة خفيفة من أمارات الحياة . أما النبات فإن أمارات الحياة بارزة في ثمائه واخضراره ، بيد أنه في درجة الصفر من حيث الشعور